البنية اللغوية ودورها في إثراء المعني وتماسك النص في الآيات الخمس الأولي من سورة الحج

الدكتور سيد أحمد موسوي پناه (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
s.ahmadmosawipanah@scu.ac.ir
مهدي صالح طالب البخيتاوي
طالب مرحلة الماجستير فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
Mahdejbk9@gmail.com

الملخص
لاشك أن للألفاظ دورا هاما في تماسك آيات القرآن الكريم إذ إنه لا يؤثر لفظا على لفظ دون أن يكون للفظ المختار مزية تُرجّحه على غيره سواء كانت هذه المزية نابعة عن تناغم اللفظة مع السياق أو ناتجة عن رضف الألفاظ مع غيرها أو من سبك التراكيب ورصفه.. فمثلا في قوله تعالى نجد أن فرقا بين المرضع والمرضعة نتج بشكل واضح من البنية اللغوية التي تم اختيارها إذ المرضعة هي التي تباشر الرضاعة أما المرضع فهي التي قادرة على الإرضاع سواء حصل ذلك منها في الوقت الراهن أو لم يحصل ولما كان السياق يدل على شدة الخطب والهول فكان الأنسب لبيان هذا المشهد الفظيع انتقاء (المرضعة) دون (المرضع) لإيجاد صورة مخوفة في ذهن السامع. تسهدف هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي- التحليلي بيان دور انتقاء المفردات والألفاظ في توالد المعاني المنسجمة مع الغرض المسوقة له وذلك عبر التركيز على البنية اللغوية للمفردة.و من أهم النتائج التي توصلت بها هذه الدراسة في هذه الآيات الخمس الأولى من سورة الحج اتضح أن هذه الألفاظ قد كان لها دور هامّ في إنتاج المعاني المناسبة والمقصودة ولم يقع اختيار القرآن على لفظ إلا وأن هناك مناسبة تامة تدعو لانتقاءه كما أنه جاءت الدراسة بمجموعة من الشواهد التي تبرهن على هذه القضية.

الكلمات المفتاحية: الألفاظ، إثراء المعاني، الانسجام، البنية اللغوية، سورة الحج.

The role of linguistic structure in increasing meaning in the text and cohesion of the text

Seyyed Ahmad Mosawi Panah(responsible writer)
Assistant professor Of Arabic language and Literature, shahid Chamran University of Ahvaz,
Ahvaz, Iran
s.ahmadmosawipanah@scu.ac.ir

Mahdi Saleh Talib Al-Bakhitawi
Masters student Of Arabic language and Literature, shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran
Mahdejbk9@gmail.com

Abstract
There is no doubt that words play an important role in the cohesion of the verses of the Holy Qur'an, as it does not influence one word over another without the chosen word having an advantage that outweighs it over others, whether this advantage stems from the harmony of the word with the context, or results from the juxtaposition of words with others, or from the casting and collating of structures. It would have been more appropriate to explain this terrible scene by choosing "the wet nurse" rather than "the wet nurse" to create a frightening image in the listener's mind.This study aims, through the descriptive-analytical approach, to explain the role of selecting vocabulary and words in generating meanings that are consistent with the purpose for which it is marketed, by focusing on the linguistic structure of the word. Among the most important results that this study reached in these first five verses of Surat Al-Hajj, it became clear that these Words have played an important role in producing appropriate and intended meanings, and the Qur'an did not choose a word unless there was a perfect occasion calling for its selection.

Keywords: pronunciation, enrichment of meanings, harmony, linguistic structure, Surah Hajj

1-1. المقدمة

في اللغة العربية يوجد أساليب متعددة ومتنوعة لبيان المقاصد والأغراض وما يخالج النفس. كما أنه يوجد كمّ غير قليل من المترادفات للكلمة الواحدة قد يتقاربان من حيث المعنى. والمتكلم البليغ والكاتب الفصيح بفطرته وسليقته يختار الأسلوب الأنسب والأدلّ على المراد كما أنه يضع في حسبانه أن لكل موقع هناك مفرداتٍ أدلّ وأنسب على إيصال القصد والمطلوب فلا يعدل بها غيرها. كذلك من الأمور التي تساهم كثيرا في تفاضل نصّ على نص وتُفَوّق كعب الكاتب والخطيب على غيره هي عنايته في اختيار البنية اللغوية سواء من حيث الجذر أو البناء الصرفي... حتى يختار لها الموقع الملائم فربما كان للكلمة أكثر من بناء لغوي وإن كان المعنى بينهما قريبا جدا لكن استبدال واحدة بالأخرى يضرّ بقيمة النص ويقلل من رونقه. على سبيل المثال قال تعالى ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ **(غافر 40: 5)(Ghafer40:5)** فكلمة (لِيَأْخُذُوهُ) في هذا الموقع تحمل دلالة لاتقدر أيّ كلمة أخرى على إيصالها فهي تحتمل أن يكون المعنى همت كل أمة بقتل رسولهم أو همت كل همت بنفي وطرد رسولهم أو همت كل أمة بإيذاء وسبّ رسولهم، بينما أي كلمة لو وضعت في هذا الموضع غير هذه الكلمة لما دلت على القصد بهذا الوجه ولما جلبت للنص هذه المعاني المتعددة، كذلك في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (التوبة 9: 40)(Al-Toba9:40) (وقرئ كلمة الله بالنصب، والرفع أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله فى العلو) (الزمخشري، 1987: ص272/2)- Al Zamakhshari,1407:P.1/53) حيث فهم من رفع مفردة (كلمة الله) أنه أدل على النصر واستمراره ولو نصب لضعف هذا المعنى وفات فيه شيء غير قليل من البهاء. في هذه الدراسة يريد الباحث من خلال التطرق إلى الآيات الخمس الأولى من سورة الحج دراسة البنية اللغوية للمفردة ودورها في إثراء المعنى وكذلك تريد إمعان النظر في التراكيب والأساليب المختارة بغية كشف الجمال الكامن فيها وفق المقاربات اللسانية والبلاغية.

1-1-1.أهمية البحث:

تشجيع الطلاب و الدارسين في دراساتهم اللغوية من خلال التعرف على البنية اللغوية من أصوات و صرف و نحو ودلالة لسور القرآن الكريم.

1-1-2.هدف البحث:

يستهدف هذا البحث بيان دور انتقاء المفردات والألفاظ في توالد المعاني المنسجمة مع الغرض المسوقة له وذلك عبر التركيز على البنية اللغوية للمفردة في الآيات الخمس الأولى من سورة الحج

1-1-3. أسئلة البحث

1- كيف تمنكنت البنية اللغوية في إثراء المعنى وتماسك النصّ؟

2- كيف أثرت سمات الألفاظ في توالد المعاني المقصودة؟

1-1-4. فرضيات البحث

1- كان للبنية اللغوية نصيب كبير في تماسك النص وانسجامه.

2- قد أثرت سمات الألفاظ بشكل كبير في توالد المعاني المقصودة سواء الملفوظة أو المقدرة.

1-1-5.منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، فالدراسة قائمة على سورة الحج التي تهدف إلى الكشف عن البنية اللغوية ودورها في إثراءالمعنى وتماسك النص في الآيات الخمس الأولى من سورة الحج.

1-1-6.الإطار النظري

1-1-6-1-البنية لغًة:

يقول ابن فارس: "الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، تقول: بنيت البناء أبنيته(ابن فارس،1979:ص302)(Ebn fares,1979:p.302)

2-1-6-1-البنية اصطلاحاً:

تعرف البنية بأنها: "نسق من العلاقات الباطنة (المدركة وفًقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء) له قوانينه الخاصة المحايثة، من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي، على نحو يضفي فيه أي تغير في العلاقات إلى تغيير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالًا على معنى"**(**صلاح،1997:ص 120)**(**Salah,1997:p.120**).**

1-1-7. الدراسات السابقة

رسالة ماجستير بعنوان (جمالية التعبير القرآني في سورة الحج) من إعداد الطالب مأمون سليمان حسن أبو جقيم وبإشراف الدكتور (أمين يوسف عودة)، عام 2008م، جامعة آل البيت كلية الأداب، قسم اللغة العربية، تطرقت الدراسة إلى الأفعال التي جاءت على صيغتي القيد والإطلاق من فعل ماض وأمر ومضارع وكشفت أنواع التقابل بين المفردات والتقابل بين المواقف والموضوعات من خلال المكان والحلية واللباس، كما درست التناسب الدّلالي لفواصل الآيات من خلال الفاصلة المفتاحية والفاصلة التقابلية، وكشفت أنماط الصورة في

التعبير القرآني من مجاز واستعارة وكناية وتشخيص وتمثيل. وبحث تحت مسمى (التفسير البلاغي لآيات الحج في سورتي البقرة والحج) من إعداد الباحث معن توفيق لحام، كلية التربية للبنات بجامعة الموصل (**2007**) وتوصلت الدراسة إلى أنه يوجد تناسب في البينة اللغوية والسياق والمعنى وأن هناك انسجاما بين البداية والختام وأنه يوجد بين الموقف والأسلوب تناغم حيث يستخدم القرآن لبعض المواقف الإطناب ولبعض الإيجاز حسب الداعي والسبب. ودراسة تحمل عنوان الجمال التصويري بين اللفظ والمعنى، للباحث محمد قطب عبد العال، بحثت التناغم الإيقاعي والموسيقي بين اللفط والمعنى وتوصلت إلى أن كل لفظ قرآني له معناه الخاص يتجلى فيه الشعاع التصويري عبر الجمل والتراكيب وأن اللفظ القرآني يتفرد من حيث التناسب في الدلالة والسيأق.

2-1. الدراسة والتحليل

المقطع الأول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ **(الحج 22: 1)**-Al (Haj22:1

نظرا إلى أنَّ سيأق الحديث في مفتح السورة يتحدث عن إنذار عظيم وخطر جليل فتوجد سمات لغوية وروابط لسانية تتطرق إلى هذا الممفتتح:

النداء بيا، ربكم، زلزلة الساعة، شيء عظيم

من خلال تفحص العلائم والسمات والرموز التي تركب منها الحقل الأول؛ نعثر على مجموعة معاني في هذا المقطع:

1-2-1. سمة «يا أيها»

استخدم للنداء ما ينبه المنادى من غفلته ويوقطه من سباته بشكل أكبر حيث رجّح صيغة (يا أيها) على باقي الصيغ فلم يقل مثلا "يا ناس وهيا ناس" وغيره من طرق النداء، لأن: «يا رَجُلُ يَدُلُّ عَلى النِّداءِ، وقَوْلُهُ: يا أيُّها الرَّجُلُ يَدُلُّ عَلى ذَلِكَ أيْضًا ويُنْبِئُ عَنْ خَطَرِ خَطْبِ المُنادى لَهُ أوْ غَفْلَةِ المُنادى» (الرازي، 1420:ص53/24)(AL-razi,1420:P.24/53) كما أنه لم يستغن عن حرف النداء وإن كان حذفه جائزا في مثل ما نحن فيه بل ذكرَه؛ ذلك أن المقام يحتاج إلى الإطناب والإتيان بكل ما يساعد المنذرين ليعوا ويعاينوا الخطب الفادح الذي يكمن لهم قريبا. فذكر الياء لنكتة هى زيادة التحذير والتنبيه ولو حذفه لفات المدّ الصوتي الذي فيه دلالة على التنبية إذن لو غير البنية لضاع الانسجام والتماسك بين اللفظ والمعنى ولم يتوسع المعنى كما هو الحال الآن.

2-2-1. دلالة سمة استعمال لفظ «الناس» و«الرّبّ» واجتماعهما في سياق واحد

السّمة الكامنة في (الناس) من الحقل الأول ترشد إلى أن الخطاب ليس لفئة معينة إنما هو «نِداءٌ لِلنّاسِ كُلِّهِمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ وأهْلِ الكِتابِ والمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ هَذِهِ الآيَةَ مِنَ المَوْجُودِينَ يَوْمَ نُزُولِها ومَن يَأْتُونَ بَعْدَهم إلى يَوْمِ القِيامَةِ، لِيَتَلَقَّوُا الأمْرَ بِتَقْوى اللَّهِ وخَشْيَتِهِ، أيْ خَشْيَةِ مُخالَفَةِ ما يَأْمُرُهم بِهِ عَلى لِسانِ رَسُولِهِ، فَتَقْوى كُلِّ فَرِيقٍ بِحَسَبِ حالِهِمْ مِنَ التَّلَبُّسِ بِما نَهى اللَّهُ عَنْهُ والتَّفْرِيطِ فِيما أمَرَ بِهِ، لِيَسْتَبْدِلُوا ذَلِكَ بِضِدِّهِ» (ابن عاشور، 1984:ص 85/17)(Ebn Ashour,1984:P.17/85) فهو خطاب عام يشمل المؤمن وغيرهم، وفي انتقاء لفظ (الرب) دون لفظ آخر كأن يقول (اتقوا الله أو اتقوا الرحمن أو اتقوا

إله العالمين...) شيء من الرمزية أن الله سبحانه وتعالى خالق الخلق ومربيهم فهو أولى بإنذارهم وتحذيرهم من قبل وقوع الشر المحدق بهم، قال الزمخشري «قوله وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ يعنى أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه. وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه». (الزمخشري، 1407:ص53/1)(Al-Zamakhshari,1407:P.1/53) إذا لاجتماع هاتين المفردتين دلالة تثري المعنى بأن الربّ ربّ الناس كلهم وليس المؤمنين وحَدهم؛ وإنذارهم ينطلق من باب الرحمة لأن الرب رحيم بمربوبيه فالناس في هذا الموضع يشير إلى الرحمة حيث إنه يريد الخير للمؤمن وغيره والرب يشير إلى العناية بالعباد لأنه مشتق من التربية وهو إنشاء الشيء حال بعد حال. وهناك سمة أخرى متولدة من إضافة الرب في (ربكم) إلى الضمير، ففيه تذكير لهم أنه هو مَن رباهم حالا بعد حال حتى اشتد عودهم وقوىَ أزرهم فهو أولى بتحذيرهم وهم أولى بتعظيمه وتكريمه «وفِي التَّعْبِيرِ عَنِ الذّاتِ العَلِيَّةِ بِصِفَةِ الرَّبِّ مُضافًا إلى ضَمِيرِ المُخاطَبِينَ إيماءً إلى اسْتِحْقاقِهِ أنْ يُتَّقى لِعَظَمَتِهِ بِالخالِقِيَّةِ، وإلى جَدارَةِ النّاسِ بِأنْ يَتَّقُوهُ لِأنَّهُ بِصِفَةِ تَدْبِيرِ الرُّبُوبِيَّةِ لا يَأْمُرُ ولا يَنْهى إلّا لِيَرْعى مَصالِحَ النّاسِ ودَرْءَ المَفاسِدِ عَنْهم. وكِلا الأمْرَيْنِ لا يُفِيدُهُ غَيْرُ وصْفِ الرَّبِّ دُونَ نَحْوِ الخالِقِ والسَّيِّدِ. وتَعْلِيقُ التَّقْوى بِذاتِ الرَّبِّ يَقْتَضِي بِدَلالَةِ الِاقْتِضاءِ مَعْنى اتِّقاءِ مُخالَفَتِهِ أوْ عِقابِهِ أوْ نَحْوِ ذَلِكَ لِأنَّ التَّقْوى لا تَتَعَلَّقُ بِالذّاتِ بَلْ بِشَأْنٍ لَها مُناسِبٍ لِلْمَقامِ. وأوَّلُ تَقْواهُ هو تَنْزِيهُهُ عَنِ النَّقائِصِ، وفِي مُقَدِّمَةِ ذَلِكَ تَنْزِيهُهُ عَنِ الشُّرَكاءِ بِاعْتِقادِ وحْدانِيَّتِهِ في الإلَهِيَّةِ» (ابن عاشور، 1984:ص 86/17)(Ebn Ashour,1984:P.17/85) كما في حذف كلمة (عذاب) من قوله (اتقوا ربكم)، الذي تقديره (اتقوا عذاب ربكم) سمة أخرى تؤيد السمة السابقة فهو من وراء حذف هذه المفردة أراد تفطينهم أنهم أساؤوا إلى من رباهم وأكرمهم وأحسن إليهم وأنهم نبذوا عبادة الخالق واتخذوا الحجارة الصماء التي لاتضر ولاتنفع ربا ظلما من عند أنفسهم. ويفهم من هذا أن الأولى اتقاء الرب وليس اتقاء عذابه لأنه في مقام التكريم والتعظيم. فالحاصل أن لكل لفظة في موضعها تناغم مع السيأق ومؤثرة في إثراء المعنى.

3-2-1. دلالة سمة (اتقوا) من الحقل الأول

لدى التدقيق في البنية اللغوية في (اتقوا) نجدها تختلف عن غيرها من الأفعال المشتملة على الإنذار والتحذير فهي تختلف عن (احذروا وخافوا...) وغيرها لأنها مشتقة من الوقاية لأجل هذا يفهم من هذه السمة أنه توجد فرصة لتفادي ما فات وتعويض ما مضى، وهذا أليق بالمقام لأن الغاية من الإنذار ههنا إنابة العباد إلى ربهم كرة أخرى وتوبتهم مما صدر منهم في أيأم غيهم، فالمعنى وإن كان إنذارا إلا أنه بشرى في نفس الوقت لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا. وكل هذا يتناسب مع دلالة الحقل الأول التي هي الإنذار والرحمة والإنابة. وسمة التوكيد في الحقل الأول تتولد من التوكيد الناشئ من «إن» والجملة الإسمية في قوله تعالى ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج 22: 1)(Al-Haj22:1) وهي سِمة تحمل دلالات لسانية-لغوية معها إذ الخطاب موجه إلى منكري الساعة ولو أنهم لم يكونوا منكرين لما

احتيج إلى هذا التأكيد فلهذا التاأكيد بهذا الأسلوب والبنية اللغوية دلالة تدعم المعنى وتتفق مع السياق والغرض المنشود. وفي هذا المقطع توجد مجموعة من الدلالات اللغوية النابعة عن البنية اللغوية للمفردة التي تفصح عن انسجام الكلام بما قبله وبعده: أولا ترك العاطف والفصل بين الجملتين يجعل الكلام مبنيا على وجهين محتملين وإن كانا متقاربين: الاحتمال الأول أن يكون الكلام على سؤال مقدر كأن سائل يقول: ما الداعي لهذا الطلب؟ فيكون الجواب ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾. والوجه الثاني أن يكون «﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِمُوجَبِ الأمْرِ بِذِكْرِ بَعْضِ عُقُوباتِهِ الهائِلَةِ فَإنَّ مُلاحَظَةَ عِظَمِها وهَوْلِها وفَظاعَةِ ما هي مِن مَبادِئِهِ ومُقَدِّماتِهِ مِنَ الأحْوالِ والأهْوالِ الَّتِي لا مَلْجَأ مِنها سِوى التَّدَرُّعِ بِلِباسِ التَّقْوى مِمّا يُوجِبُ مَزِيدَ الِاعْتِناءِ بِمُلابَسَتِهِ ومُلازَمَتِهِ لا مَحالَةَ» (أبوالسعود، 1982:ص 91/6)(Abu-Al-saud,1982:P.6/91) ولو جاء بالعاطف لورد عليه الضعف من أكثر من جهة: أولا بين الجملتين اختلاف في الإخبار والإنشاء إذ الأولى إنشائية والثانية خبرية وأما الضعف الثاني فتمثل في عدم وجود جامع يدعو إلى العطف ثم إنّ الكلام لو بني على العطف بحيث لم يكن قوله ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج 22: 1) (Al-Haj22:1) يحمل معنى التعليل لفقد الكلام رونقه ذلك أن الشيء المنكر يحتاج إلى أن يقترن بدليل يدعمه لتكون الحجة على السامع أقطع والبرهان أسطع «ثم إن التوق إلى أن تقر الأمور قرارها، وتوضع الأشياء مواضعها والنزاع إلى بيان ما يشكل وحل ما ينعقد، والكشف عما يخفى، وتلخيص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة، واستظهارا على الشبهة، واستبانة للدليل، وتبينا للسبيل، شيء في سوس العقل، وفي طباع النفس إذا كانت نفسا». (الجرجاني، 1471:ص 83)(Al-Jurjani,1471:P.83) ولذلك قال الرازي «أَنَّهُ سُبْحانَهُ أمَرَ النّاسَ بِالتَّقْوى ثُمَّ عَلَّلَ وُجُوبَها عَلَيْهِمْ بِذِكْرِ السّاعَةِ ووَصَفَها بِأهْوَلِ صِفَةٍ، والمَعْنى أنَّ التَّقْوى تَقْتَضِي دَفْعَ مِثْلِ هَذا الضَّرَرِ العَظِيمِ عَنِ النَّفْسِ، ودَفْعُ الضَّرَرِ عَنِ النَّفْسِ مَعْلُومُ الوُجُوبِ، فَيَلْزَمُ أنْ تَكُونَ التَّقْوى واجِبَةً»(الرازي، 1420:ص23 /200)(AL-razi,1420:P.23/200) وقد اختار من أحوال الساعة الزلزلة التي هي «شِدَّةَ اضْطِرابِها وتَحَرُّكَها العَنِيفَ المُزِيلَ لِلْأشْياءِ عَنْ مَقارِّها إزالَةً عَظِيمَةً، بِما يَحْصُلُ فِيهِما مِنَ الأصْواتِ المُخْتَلِفَةِ، والحَرَكاتِ المُزْعِجَةِ المُتَّصِلَةِ، مِنَ النَّفْخِ في الصُّوَرِ، وبَعْثَرَةِ القُبُورِ، وما يَتَسَبَّبُ عَنْ ذَلِكَ مِن عَجائِبِ المَقْدُورِ، وقْتَ القِيامِ، واشْتِدادِ الزِّحامِ، وذَلِكَ لِأنَّ زَلْزَلَ مُضاعَفُ زَلَّ إذا زالَ عَنْ مَقَرِّهِ بِسُرْعَةٍ، ضُوعِفَ لَفْظُهُ لِتَضاعُفِ مَعْناهُ» (البقاعي، 1885:ص 13/ 3)(Al-Baqhai,1885:P.13/3) ولو أنه استبدل لفظة (زلزلة) بأخرى كعذاب الساعة أو غيرها أو قال إن الساعة بحذف زلزلة لما دلت العبارة هذه الدلالة ولما صَوَّرت لنا هذا التصوير الرهيب الذي يملأ الآذان رعبا وخوفا. كما أنه انتقى لفظة الساعة من بين أسماء القيامة لهذا المقام لأن الساعة مشتقة من السعي وهو يناسب المحاولة للتخلص من هول القيامة والله أعلم.

1-2-4. البناء اللغوي في تركيب «شيء» و«عظيم»

لمفردة (شيء) من الحسن ما لا يوصف هنا، قال الطاهر بن عاشور «والإتْيانُ بِلَفْظِ (شَيْءٌ) لِلتَّهْوِيلِ بِتَوَغُّلِهِ في التَّنْكِيرِ، أيْ زَلْزَلَةُ السّاعَةِ لا يُعْرَفُ كُنْهُها بِأنَّها شَيْءٌ عَظِيمٌ، وهَذا مِنَ

المَواقِعِ الَّتِي يَحْسُنُ فِيها مَوْقِعُ كَلِمَةٍ (شَيْءٍ) وهي الَّتِي نَبَّهَ عَلَيْها الشَّيْخُ عَبْدُ القاهِرِ فِي دَلائِلِ الإعْجازِ» (ابن عاشور، 1984:ص 87/18)(Ebn Ashour,1984:P.18/87) . وذكر ابن عطية وجها لطيفا أنه «سَمّاها شَيْئًا؛ لِأَنَّها حاصِلَةٌ مُتَيَقَّنٌ وُقُوعَها يَسْتَسْهِلُ لِذَلِكَ أنْ تُسَمّى شَيْئًا وهي مَعْدُومَةٌ؛ إذِ اليَقِينُ بِها يُشَبِّهُها بِالمَوْجُوداتِ، وأمّا عَلى المَآلِ، أيْ هي - إذا وقَعَتْ - شَيْءٌ عَظِيمٌ، فَكَأنَّهُ لَمْ يُطْلِقِ الاسْمَ الآنَ، بَلِ المَعْنى: إنَّها إذا كانَتْ فَهي حِينَئِذٍ شَيْءٌ عَظِيمٌ». (ابن عطية، 1422:ص 105/4)(Ebn-Atiya,142:P.4/105) واقتران (شيء) بوصف (عظيم) للدلالة على التهويل «والعَظِيمُ: الضَّخْمُ، وهو هُنا اسْتِعارِيٌّ لِلْقَوِيِّ الشَّدِيدِ. والمَقامُ يُفِيدُ أنَّهُ شَدِيدُ الشَّرِّ». (ابن عاشور، 1984:ص 88/17)(Ebn Ashour,1984:P.17/88 وتأكيد الجملة (بإنّ) والجملة الإسمية فيه دلالة على أن الكلام ردّ على المنكرين أو تقرير لمن يتحرى الحقّ والحقيقة والله أعلم.

الآية الثانية ﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج 22: 2)(Al-Haj22:1)

نجد أن الظرف (يوم) والجملة المضافة إليه (ترونها) أُفرغت في تركيب يحتمل معاني عدة: قال الزمخشري: «يَوْمَ تَرَوْنَها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة». (الزمخشري، 1407:ص3 /142)(Al-Zamakhshari,1407:P.3/142). بناء على هذا يكون تقدير الكلام تذهل كل مرضعة عما أرضعت يوم تبصرون الزلزلة وأهوالها. وغرض التقديم في هذا المقام يكون الاهتمام قال أبو السعود «وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَها﴾ مُنْتَصِبٌ بِما بَعْدَهُ قُدِّمَ عَلَيْهِ اهْتِمامًا بِهِ، والضَّمِيرُ لِلزَّلْزَلَةِ، أيْ: وقْتَ رُؤْيَتِكم إيّاها ومُشاهَدَتِكم لِهَوْلِ مَطْلَعِها». (أبوالسعود، 1982:ص 91/6)(Al- Abu saud,1982:P.6/91) كما أفادت طريقة التعبير هذه احتمالية تعلق (يوم) بعظيم «أيْ تَسْتَعْظِمُونَ جِدًّا ذَلِكَ اليَوْمَ عِنْدَ المُعايَنَةِ وإنْ كُنْتُمُ الآنَ تُكَذِّبُونَ، ويَكُونُ ما بَعْدَهُ اسْتِئْنافًا» (البقاعي، 1885:ص 13/ 3)(Al-Baqhai,1885:P.13/3). ويجوز أن يكون متعلقا بفعل (اذكر) المقدر أي اذكر يوم ترونها: إذا لهذا الأسلوب فائدة تترتب عليه هي تكثير المعاني المتولدة من نظم الجمل وصيأقة تركيبها ومثل هذا أعني أن يكون الكلام بأقل ألفاظه يحتمل معاني كثيرة غاية من غاية البلغاء. ولو قيل (تذهل كل مرضعة عما أرضعت يوم ترونها) من غير تقديم للظرف لم يكن في الكلام تقديم لأجل الاهتمام ولا التذكير المستفاد من تقدير فعل اذكر علما أنّ تقدير (اذكر) في مثل هذه المواطن شائع؛ له نظائر في القرآن واستخدام فعل (تذهل) ينسجم مع الإنذار العظيم والمشهد المخيف الذي تصّوره الآية عن أهوال يوم القيأمة لأن «الذُّهُولُ: نِسْيانُ ما مِن شَأْنِهِ أنْ لا يُنْسى لِوُجُودِ مُقْتَضِي تَذَكُّرِهِ؛ إمّا لِأنَّهُ حاضِرٌ أوْ لِأنَّ عِلْمَهُ جَدِيدٌ وإنَّما يُنْسى لِشاغِلٍ عَظِيمٍ عَنْهُ. فَذُكِرَ لَفْظُ الذُّهُولِ هُنا دُونَ النِّسْيانِ لِأنَّهُ أدَلُّ عَلى شِدَّةِ التَّشاغُلِ». (ابن عاشور، 1984:ص 89/17)(Ebn Ashour,1984:P.17/89) فكأن عظم الخطب يجعل المرأة تنسى شيئا لا ينسى. المقطع الثاني ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ **(الحج 22: 2)** (Al-Haj22:1) ومما زاد الصورة رعبا لدى السامع أن الأم الرؤوم تذهل عن طفلها الذي هو جالس في حجرها وملتقم ثديها فلو قال (مرضع) بدل مرضعة لها حصل

مثل التصوير الذي يدل على شدة الهول والخطر والفزع والوجل عند حدوث الساعة، ذلك أنّ (مرضعة) معناها التي ألقمت ولدها ثديها كما بينا فهو بين يديها تراه وتبصره وحاضر عندها لا يشغلها عنه شاغل أما (مرضع) فهي التي من شأنها أن ترضع ابنها سواء كان ذلك الطفل في تلك الحظات ملتقماً ثدي أمّه أو غائبا عنها. قال الزمخشري «فإن قلت: لم قيل مُرْضِعَةٍ دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى. والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل: مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة» (الزمخشري، 1407:ص142/3)(Al-Zamakhshari,1407:P.3/141). إذا نجد أن الجمع بين فعل (تذهل) و(مرضعة) دون لفظة (مرضع) انسجام تام يخلق تصويرا عجيبا يكاد يأخذ على المرء لبَّه. وزاد هذا التصوير دهشة في نفس السامع أنَّه استعمل (ما) في قوله (عما أرضعت) دون (مَن) لأنها «لا يَخْطُرُ بِبالِها أنَّهُ ماذا لا أنَّها تَعْرِفُ شِيئَتَهُ، لَكِنْ لا تَدْرِي مَن هو بِخُصُوصِهِ». (أبوالسعود، 1982:ص 92/6)(Abu-Al-saud,1982:P.6/92). و(كل) في (كل مرضعة) دلالة تأكد أن الدهشة عامة مثلها «يَعْتَرِي كُلَّ مُرْضِعٍ ولَيْسَ هو لِبَعْضِ المَراضِعِ بِاحْتِمالِ ضَعْفٍ في ذاكِرَتِها. ثُمَّ تَقْتَضِي هَذِهِ الكِنايَةُ كِنايَةً عَنْ تَعْمِيمِ هَذا الهَوْلِ لِكُلِّ النّاسِ لِأنَّ خُصُوصِيَّةَ هَذا المَعْنى بِهَذا المَقامِ أنَّهُ أظْهَرُ في تَصْوِيرِ حالَةِ الفَزَعِ والهَلَعِ بِحَيْثُ يَذْهَلُ فِيهِ مَن هو في حالِ شِدَّةِ التَّيَقُّظِ لِوَفْرَةِ دَواعِي اليَقَظَةِ. وذَلِكَ أنَّ المَرْأةَ لِشِدَّةِ شَفَقَتِها كَثِيرَةُ الِاسْتِحْضارِ لِما تُشْفِقُ عَلَيْهِ، وأنَّ المُرْضِعَ أشَدُّ النِّساءِ شَفَقَةً عَلى رَضِيعِها، وأنَّها في حالِ مُلابَسَةِ الإرْضاعِ أبْعَدُ شَيْءٍ عَنِ الذُّهُولِ فَإذا ذُهِلَتْ عَنْ رَضِيعِها في هَذِهِ الأحْوالِ دَلَّ ذَلِكَ عَلى أنَّ الهَوْلَ العارِضَ لَها هَوْلٌ خارِقٌ لِلْعادَةِ. وهَذا مِن بَدِيعِ الكِنايَةِ عَنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الهَوْلِ؛ لِأنَّ اسْتِلْزامَ ذُهُولِ المُرْضِعِ عَنْ رَضِيعِها لِشِدَّةِ الهَوْلِ يَسْتَلْزِمُ شِدَّةَ الهَوْلِ لِغَيْرِها بِطَرِيقِ الأوْلى، فَهو لُزُومٌ بِدَرَجَةٍ ثانِيَةٍ. وهَذا النَّوْعُ مِنَ الكِنايَةِ يُسَمّى الإيماءَ». (ابن عاشور، 1984:ص 190/17)(Ebn Ashour,1984:P.17/190)المقطع الثالث ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج 22: 2) (Al-Haj22:1) ثم انظر إلى هذا المقطع من الآية كيف جمع بين هذه الأمور التي تذكر المرء بأن الأولى به اتقاء ذلك اليوم قبل حدوث شّره. وقوله (تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) يحتمل أن يكون حقيقةً أو تمثيلا «إنَّهُ تَمْثِيلٌ لِتَهْوِيلِ الأمْرِ، وفِيهِ أنَّ الأمْرَ حِينَئِذٍ أشَدُّ مِن ذَلِكَ وأعْظَمُ وأهْوَلُ مِمّا وُصِفَ وأطَمُّ. وقِيلَ: إنَّ ذَلِكَ يَكُونُ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثّانِيَةِ، فَإنَّهم يَقُومُونَ عَلى ما صُعِقُوا في النَّفْخَةِ الأُولى، فَتَقُومُ المُرْضِعَةُ عَلى إرْضاعِها والحامِلُ عَلى حَمْلِها». (أبوالسعود، 1982:ص 92/6)(Abu-Al-saud,1982:P.6/92). ومثل هذا نقل الرازي «يُحْتَمَلُ أنْ يُقالَ: مَن ماتَتْ حامِلًا أوْ مُرْضِعَةً تُبْعَثُ حامِلًا أوْ مُرْضِعَةً تَضَعُ حَمْلَها مِنَ الفَزَعِ، ويُحْتَمَلُ أنْ يَكُونَ المُرادُ مِن ذُهُولِ المُرْضِعَةِ ووَضْعِ الحَمْلِ عَلى جِهَةِ المَثَلِ كَما قَدْ تَأوَّلَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِيبًا﴾» (الرازي، 1420:ص201/23)(AL-razi,1420:P.23/201) وعلى كل الوجهين يشير إلى صورة تفزع القلب وتحرك المشاعر والأحاسيس وتدفع العاقل أن يرتدع قبل فوات الفوت وأن يتدارك الغصة بسبب إضاعة الفرصة. ثم ذكر من أحوال الناس

العجيبة وخطب يوم القيأمة الفظيع أن الرائي يراهم وكأنهم سكارى لكن الحقيقة ما هم بسكارى. ولما كان حالهم يوهم أنهم سكارى فعلا أنكر هذا بما هو أقوى في قوله ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ حيث صدّر الجملة بالضمير وزاد الباء في الخبر ليدفع هذا التوهم ويخبر أن الحقيقة أنهم ليسوا بسكارى لكن أصابهم من العذاب الشديد ما طار بقولهم وسرق ألبابهم فهم مِن وجلهم كمَن فقد عقله حالَ سكره. فالآية دلت ما يعجز الوصف عنه لذلك حتى أنه من أجل هذا ورد «أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً فقرأهما النبي (صلى الله عليه وآله) فلم يُرَ أكثر باكياً من تلك الليلة» (الطيبي، 1434:ص 429/10)-Al (tAyebi,1434:P.10/429)

ويتولد معنىً لطيف من التفريق في عدد الصيغة في قوله تعالى ﴿يَومَ تَرَونَهَا﴾ **(الحج 22: 2)** (Al-Haj22:1) وقوله تعالى ﴿تَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ **(الحج 22: 2)**(Al-Haj22:1) حيث ذكر الصيغة الأولى بالجمع والأخير بالإفراد، قد أشار إليه الزمخشري «فإن قلت: لم قيل أوّلا: ترون، ثم قيل: ترى، على الإفراد؟ قلت: لأنّ الرؤية أوّلا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها، وهي معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر، فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم» (الزمخشري، 141/3:1407-Al (Zamakhshari,1407:P.3/141). وللإطناب في قوله (عما أرضعت) و(تضع كل ذات حمل حملها) موقع حسن يتطلبه الموقف والمقام ولو قال: (تضع كل حبلى) لم تبعث الصورة ذلك المعنى الذي يقتضي المقام إذ في هكذا موقف الإطناب أجدر ليدخل الوجل أشد على روع السامع.

الآية الثالثة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ **(الحج 22: 3)** ((Al-Haj22:1

والمناسبة بين وصف أهوال الساعة في الآيتين الأوليين وبين الحديث في هذه الآية عمُّن يجادل في الله بغير علم أنه «لَمّا ذَكَرَ تَعالى أهْوالَ يَوْمَ القِيامَةِ ذَكَرَ مَن غَفَلَ عَنِ الجَزاءِ في ذَلِكَ اليَوْمِ وكَذَّبَ بِهِ» (أبوحيان، 1420:ص 83/7)(Abu-Hayan,1420:P.7/83). كما أنه ذكر المفسرون في شأن نزول هذه الآية ومَن نزلت فيه أقوال أشهرها «أنَّ مِنَ النّاسِ بَعْضًا يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ أيْ: يُخاصِمُ فِي اللَّهِ بِأنْ يَنْسِبَ إلَيْهِ ما لا يَلِيقُ بِجَلالِهِ وكَمالِهِ، كالَّذِي يَدَّعِي لَهُ الأوْلادَ والشُّرَكاءَ، ويَقُولُ: إنَّ القُرْآنَ أساطِيرُ الأوَّلِينَ، ويَقُولُ: لا يُمْكِنُ أنْ يُحْيِيَ اللَّهُ العِظامَ الرَّمِيمَ، كالنَّضْرِ بْنِ الحارِثِ، والعاصِ بْنِ وائِلٍ، وأبِي جَهْلِ بْنِ هِشامٍ، وأمْثالِهِمْ مِن كُفّارِ مَكَّةَ الَّذِينَ جادَلُوا فِي اللَّهِ ذَلِكَ الجِدالَ الباطِلَ بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ، مِن عِلْمٍ عَقْلِيٍّ، ولا نَقْلِيٍّ، ومَعَ جِدالِهِمْ فِي اللَّهِ ذَلِكَ الجِدالَ الباطِلَ يَتَّبِعُونَ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ؛ أيْ: عاتٍ طاغٍ مِن شَياطِينِ الإنْسِ والجِنِّ كُتِبَ عَلَيْهِ (الحج 22: ٣) **(**Al-Haj22:1) ؛ أيْ: كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ كِتابَةَ قَدَرٍ وقَضاءٍ أنَّهُ مَن تَوَلّاهُ (الحج 22: ٣) **(**Al-Haj22:1)(ابن عبدالقادر، 1441:ص 16/5)(Ebn-Abdelqhder,1441:P.5/16). ونجد أن القرآن يذكر الحدث دون تسمية الأشخاص حيث يقول ومن الناس من ولم يصرح بذكر أسماءهم ففي مثل هذا دلالة على عدم الاكتراث بهؤلاء النفر المجادلين في الله بغير علم وتحقير لشأنهم وتقليل لمكانتهم لدرجة أنهم غير مستحقين أن يذكروا ولو في مقام الذم ذلك أن المتكلم يطهر لسانه من أن

يجري لهم ذكرا عليه. كما يستفاد من هذا الأسلوب بالاتفات إلى قرائن أخرى أن القرآن محوريته الفكرة وليست الأشخاص وأن العبرة بالفكرة ولا مدخلية للأشخاص ولأجل هذا أعرض عن ذكرهم ليكون كلاما عاما يشمل كلّ فرد في كل زمنٍ، قال الزَّمخشريّ «وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا يعضّ فيه بضرس قاطع، وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة، فهو يخبط خبط عشواء، غير فارق بين الحق والباطل وَيَتَّبِعُ في ذلك خطوات كُلَّ شَيْطانٍ عات» (الزمخشري، 43/3:1407)(Al-Zamakhshari,1407:P.3/43) كذلك لم يقيد عبارة (في الله) بقيد كأن يقول يجادل في صفات الله أو في وجود الله أو قدرة الله وغيرها من التقديرات والسبب ليكون الكلام عاماً يشمل كل هذه التقديرات ولو قَيد لقلل المعنى وتقليل المعنى بعيد عن غايأت البلغاء وأمّا الجمع بين (يضله) و(يهديه) في قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ (الحج 22: 5)(Al-Haj22:1) فله أكثر من فائدة: الأولى أنها جعلت الكلام مبنيا على محسن الطباق ومعلوم دور الطباق في إظهار المعنى وخلق التصوير الفني وإثارة الذهن ولفت الانتباه والثاني أنّ المراد بيهدي (يدلّ) وإنما آثر (يهدي) على (يدل) لأن (يهدي) يجلب معه الاستهزاء والسخرية لمن تولى الشيطان ولو جاء (بيدل) لما حصل الطباق ولا السخرية، كما أنه ذكر ليهدي (متعلقا)؛ أما (يضله) فقد جاء به من دون متعلق. والعلة أنه «لَمّا كانَ الضَّلالُ مُشْتَهِرًا في مَعْنى البُعْدِ عَنِ الخَيْرِ والصَّلاحِ لَمْ يُحْتَجْ في هَذِهِ الآيَةِ إلى ذِكْرِ مُتَعَلِّقِ فِعْلِ (يُضِلُّهُ) لِظُهُورِ المَعْنى. وذُكِرَ مُتَعَلِّقُ فِعْلِ (يَهْدِيهِ) وهو (إلى عَذابِ السَّعِيرِ) لِأنَّ تَعَلُّقَهُ بِهِ غَرِيبٌ إذِ الشَّأْنُ أنْ يَكُونَ الهُدى إلى ما يَنْفَعُ لا إلى ما يَضُرُّ ويُعَذِّبُ».(ابن عاشور، 1984:ص 95/17) Ebn (Ashour,1984:P.17/95) وفي هذا إيجاز سببه ظهور المعنى. وأما المناسبة بين قوله تعالى ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾ (الحج 22: 5) (Al-Haj22:1) وبين الآيأت السابقة أنه «ولَمّا ذَكَرَ تَعالى مَن يُجادِلُ في قُدْرَةِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وكانَ جِدالُهم في الحَشْرِ والمَعادِ ذَكَرَ دَلِيلَيْنِ واضِحَيْنِ عَلى ذَلِكَ) في هذه الآية (أحَدُهُما في نَفْسِ الإنْسانِ وابْتِداءِ خَلْقِهِ، وتَطَوُّرِهِ في مَراتِبَ سَبْعٍ وهي التُّرابُ، والنُّطْفَةُ، والعَلَقَةُ، والمُضْغَةُ، والإخْراجُ طِفْلًا، وبُلُوغُ الأشُدِّ، والتَّوَفِّي أوِ الرَّدُّ إلى الهَرَمِ. والثّانِي في الأرْضِ الَّتِي تُشاهِدُونَ تَنَقُّلَها مِن حالٍ إلى حالٍ فَإذا اعْتَبَرَ العاقِلُ ذَلِكَ ثَبَتَ عِنْدَهُ جَوازُهُ عَقْلًا فَإذا ورَدَ خَبَرُ الشَّرْعِ بِوُقُوعِهِ وجَبَ التَّصْدِيقُ بِهِ وأنَّهُ واقِعٌ لا مَحالَةَ» (أابوحيان، 1420:ص 84/7)(Abu-Hayan,1420:P.7/84). قوله تعالى ﴿يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ﴾ **(الحج 22: 5)**(Al-Haj22:1) لما كان ذلك المجادِل بغير علم تحركه وسوسة الشيطان وتدفعه إلى إلأمام سماها (اتباعا) ليشير إلى مدى سلطان الشيطان على ذلك المجادل وكيف أصبح وكأنه جنديّ يأتمر بامر قائده لا رأي له من عند نفسه واستعمل للشيطان صفة (المريد) وهي «صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مِن مَرُدَ - بِضَمِّ الرّاءِ - عَلى عَمَلٍ. إذا عَتا فِيهِ وبَلَغَ الغايَةَ الَّتِي تَتَجاوَزُ ما يَكُونُ عَلَيْهِ أصْحابُ ذَلِكَ العَمَلِ. وكَأنَّهُ مُحَوَّلٌ مِن مَرَدَ - بِفَتْحِ الرّاءِ - بِمَعْنى مَرَنَ إلى ضَمِّ الرّاءِ لِلدَّلالَةِ عَلى أنَّ الوَصْفَ صارَ لَهُ سَجِيَّةً، فالمَرِيدُ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ. أيِ العاتِي في الشَّيْطَنَةِ».(ابن عاشور،1984:ص 93/17) (Ebn Ashour,1984:P.17/93).

كما أنه في هذه الآية المباركة استفتح الخطاب بنداء النَّاس ولم يخصص فئة دون فئة معلومة كأن يخاطب المؤمنين أو المسلمين وحَدهم مثلا ذلك لأن المراد بالخطاب كل من تأتى له سماعه كما أن ما بعد هذا الخطاب ورد دليل يعقله كل ذي عقل وينتفع به وليس ما بعده أمر ديني أو إرشاد أخلاقي خاص بالمؤمنين حتى يستفتح الخطاب بما يناسبه. أما العلة وراء إيراد كلمة الشك (أعنى إن الشرطية هنا) رغم أنه تقرر من حالهم أنهم ليسوا شاكين فقط بل منكرون وطاعنون له، فقى قال أبو السعود «وتَصْدِيرَهُ بِكَلِمَةِ الشَّكِّ؛ لِلْإِشْعارِ بِأنَّ حَقَّهُ أنْ يَكُونَ ضَعِيفًا مَشْكُوكَ الوُقُوعِ؛ وإمّا لِلتَّنْبِيهِ عَلى أنَّ جَزْمَهم ذَلِكَ بِمَنزِلَةِ الرَّيْبِ الضَّعِيفِ؛ لِكَمالِ وُضُوحِ دَلائِلِ الإعْجازِ؛ ونِهايَةِ قُوَّتِها؛ وإنَّما لَمْ يَقُلْ: وإنِ ارْتَبْتُمْ فِيما نَزَّلْنا.. إلَخْ.. لِما أُشِيرَ إلَيْهِ فِيما سَلَفَ مِنَ المُبالَغَةِ في تَنْزِيهِ ساحَةِ التَّنْزِيلِ عَنْ شائِبَةِ وُقُوعِ الرَّيْبِ فِيهِ؛ حَسْبَما نَطَقَ بِهِ» (أبوالسعود، 1982:ص 63/1)(Abu-Al-saud,1982:P.1/63).

1-2-5. دلالة الظرفية في (في ريب)

ومعنى الظرفية في قوله تعالى (في ريب) هو الإحاصلة على سبيل الاستعارة «ووَجْهُ الإتْيانِ بِفِي الدّالَّةِ عَلى الظَّرْفِيَّةِ الإشارَةُ إلى أنَّهم قَدِ امْتَلَكَهُمُ الرَّيْبُ وأحاطَ بِهِمْ إحاطَةَ الظَّرْفِ بِالمَظْرُوفِ، واسْتِعارَةُ (في) لِمَعْنى المُلابَسَةِ شائِعَةٌ في كَلامِ العَرَبِ كَقَوْلِهِمْ: هو في نِعْمَةٍ» (ابن عاشور، 1984:ص 36/1)(Ebn Ashour,1984:P.1/36) وقوله تعالى ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ **(الحج 22: 5)** (Al-Haj22:1) لم يذكر له مفعولا ولم يحدد المُبَّين، ومن أجل هذا اختلفوا في تحديده وتقديره، قال ابن عطية «وقَوْلُهُ ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ **(الحج 22: 5)** (Al-Haj22:1)، قالَتْ فِرْقَةٌ: مَعْناهُ: لِنُبَيِّنَ أمْرَ البَعْثِ، فَهو اعْتِراضٌ بَيْنَ الكَلامَيْنِ، وقَرَأتْ هَذِهِ الفِرْقَةُ بِالرَفْعِ في "نُقِرُّ"، المَعْنى: ونَحْنُ نُقِرُّ، وهي قِراءَةُ الجُمْهُورِ. وقالَتْ فِرْقَةٌ: لِنُبَيِّنَ لَكُمْ مَعْناهُ: تَكُونُ المُضْغَةُ غَيْرَ مُخَلَّقَةٍ وطَرَحَ النِساءُ إيّاها، كَذَلِكَ نُبَيِّنُ لِلنّاسِ أنَّ المَناقِلَ في الرَحِمْ هي هَكَذا».(ابن عطية، 1422:ص 108/4)(Ebn-Atiya,142:P.4/108)غير أنه لم يشر إلى سر ترك تحديد هذا المفعول وقد بينها الزمخشري في الكشاف «وورود الفعل غير معدى إلى المبين: إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبى عبلة: ليبين لكم»(الزمخشري، 3:1407 /143)-Al (Zamakhshari,1407:P.3/143). ومثله فعل أبو السعود (على عادته في استخراج هذه الفوائد) حيث تنبه إلى أهمية هذا الحذف ودلالته ولم يتجاوزه دون الكشف عن السرّ الكامن وراءه، قال «﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ **(الحج 22: 5)**(Al-Haj22:1) مُتَعَلِّقٌ بِخَلْقِنا، وتُرِكَ المَفْعُولُ لِتَفْخِيمِهِ كَمًّا وكَيْفًا، أيْ: خَلَقْناكم عَلى هَذا النَّمَطِ البَدِيعِ لِنُبَيِّنَ لَكم بِذَلِكَ ما لا تَحْصُرُهُ العِبارَةُ مِنَ الحَقائِقِ والدَّقائِقِ الَّتِي مِن جُمْلَتِها سِرُّ البَعْثِ، فَإنَّ مَن تَأمَّلَ فِيما ذُكِرَ مِنَ الخَلْقِ التَّدْرِيجِيِّ تَأمُّلًا حَقِيقِيًّا جَزَمَ جَزْمًا ضَرُورِيًّا بِأنَّ عَلى خَلْقِ البَشَرِ أوَّلًا مِن تُرابٍ لَمْ يَشُمَّ رائِحَةَ الحَياةِ قَطُّ. وإنْشائِهِ عَلى وجْهٍ مُصَحَّحٍ لِتَوْلِيدِ مِثْلِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى بِتَصْرِيفِهِ في أطْوارِ الخِلْقَةِ وتَحْوِيلِهِ مِن حالٍ إلى حالٍ مَعَ ما بَيْنَ تِلْكَ الأطْوارِ والأحْوالِ مِنَ المُخالَفَةِ والتَّبايُنِ فَهو قادِرٌ عَلى إعادَتِهِ، بَلْ هو أهْوَنُ في القِياسِ نَظَرًا إلى الفاعِلِ والقابِلِ. وقُرِئَ: "لِيُبَيِّنَ" بِطَرِيقِ الِالتِفاتِ» (أبوالسعود، 1982:ص 94/6)(Abu-Al-saud,1982:P.6/94)

قوله تعالى ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ **(الحج 22: 5)** (Al-Haj22:1)

البنية اللغوية في هذا المقطع من الآية كالآتي:

- تغيير بنية الفعل من الماضي إلى المضارع

- استخدام اللفظ المفرد في معنى الجمع

- مخالفة الترتيب الوجودي

حَوّل صيغة الفعل من المعلوم إلى المجهول للدلالة على سهولة ذلك الأمر على الله تعالى قال البقاعي «﴿ومنكم مَن يُتَوَفّى﴾ قَبْلَ ما بَعْدَ ذَلِكَ مِن سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ ﴿ومِنكم مَن يُرَدُّ﴾ بِالشَّيْخُوخَةِ، وبَناهُ لِلْمَجْهُولِ إشارَةً إلى سُهُولَتِهِ عَلَيْهِ مَعَ اسْتِبْعادِهِ لَوْلا تَكَرُّرُ المُشاهَدَةِ عِنْدَ النّاظِرِ لِتِلْكَ القُوَّةِ والنَّشاطِ وحُسْنِ التَّواصُلِ بَيْنَ أعْضائِهِ والِارْتِباطِ ﴿إلى أرْذَلِ العُمُرِ﴾ وهو سِنُّ الهَرَمِ فَيَنْقُصُ جَمِيعُ قُواهُ ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ﴾» (البقاعي، 1885:ص 13/ 11)(Al-Baqhai,1885:P.13/11) وتحويل بنية الفعل من الماضي إلى المضارع في قوله تعالى ﴿ونقّر﴾ **(الحج 22: 5)** (Al-Haj22:1) مع أنها معطوفة على ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (الحج 22: 5) (Al-Haj22:1) وهي للماضي علقه الدلالة «عَلى اسْتِحْضارِ تِلْكَ الحالَةِ لِما فِيها مِن مُشابَهَةِ اسْتِقْرارِ الأجْسادِ في الأجْداثِ ثُمَّ إخْراجِها مِنها بِالبَعْثِ كَما يَخْرُجُ الطِّفْلُ مِن قَرارَةِ الرَّحِمِ، مَعَ تَفاوُتِ القَرارِ. فَمِنَ الأجِنَّةِ ما يَبْقى سِتَّةَ أشْهُرٍ، ومِنها ما يَزِيدُ عَلى ذَلِكَ، وهو الَّذِي أفادَهُ إجْمالُ قَوْلِهِ تَعالى (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) والِاسْتِدْلالُ في هَذا كُلِّهِ بِأنَّهُ إيجادٌ بَعْدَ العَدَمِ وإعْدامٌ بَعْدَ الوُجُودِ لِتَبْيِينِ إمْكانِ البَعْثِ بِالنَّظِيرِ وبِالضِّدِّ» (ابن عاشور،1984:ص 99/17) (Ebn Ashour,1984:P.17/99) واختيأر لفظ الطفل دون الأطفال إمَّا لأن المقصود من ذلك جنِس الأطفال وليس طفلا بعينه أو «وعَبَّرَ بِهِ دُونَهُ لِلتَّساوِي في ضَعْفِ الظّاهِرِ والباطِنِ» (البقاعي، 1885:ص 13/ 10)(Al-Baqhai,1885:P.13/10) ولاستوائه في الجمع والإفراد ولثم في ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا﴾ **(الحج 22: 5)** (Al-Haj22:1) دلالة لا يخفى حسنها على ذي لبّ، قال العلامة الآلوسي «وكَذَلِكَ في الإتْيانِ بِثُمَّ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا﴾ دَلالَةٌ عَلى أنَّهُ الغَرَضُ الأصِيلُ الَّذِي خُلِقَ الإنْسانُ لَهُ ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذّارِياتِ 51: 56)(Al-Dhareyat51:56). (الآلوسي، 1415:ص 114/9) (Al-Alusi,1415:P.9/114) ومخالفة الترتيب الوجودي في قوله (مختلفة وغير مخلقة) حيث إنّ (غير المخلقة) عدم و(مخلقة) ملكة بالنسبة لها ذلك «لِأنَّ المُخَلَّقَةَ أدْخَلُ في الِاسْتِدْلالِ، وذُكِرَ بَعْدَهُ غَيْرَ المُخَلَّقَةِ لِأنَّهُ إكْمالٌ لِلدَّلِيلِ وتَنْبِيهٌ عَلى أنَّ تَخْلِيقَها نَشَأ عَنْ عَدَمٍ. فَكِلا الحالَيْنِ دَلِيلٌ عَلى القُدْرَةِ عَلى الإنْشاءِ وهو المَقْصُودُ مِنَ الكَلامِ. ولِذَلِكَ عَقَّبَ بِقَوْلِهِ تَعالى ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أيْ لِنُظْهِرَ لَكم إذا تَأمَّلْتُمْ دَلِيلًا واضِحًا عَلى إمْكانِ الإحْياءِ بَعْدَ المَوْتِ» (ابن عاشور،1984:ص 99/17) (Ebn Ashour,1984:P.17/99).قوله تعالى ﴿إنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ﴾ **(الحج 22: 5)** (Al-Haj22:1) المراد بالتراب هو آدم عليه السلام لأن أصله من تراب أو لأن الأغذية التي بها قوام الآدميين تنبت في التراب، قال القاسميّ «وهو المَنِيُّ، مِن تُرابٍ. إذْ خُلِقَ مِن أغْذِيَةٍ مُتَوَلِّدَةٍ مِنهُ. وغايَةُ أمْرِ البَعْثِ أنَّهُ خُلِقَ مِنَ التُّرابِ: ﴿ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ﴾ أيْ: تَوَلَّدَتْ مِنَ الأغْذِيَةِ التُّرابِيَّةِ» (القاسمي، 1418:ص 32/7) (Al-

(Qasemi,1418:P.7/32فالتراب هنا مستعمل في المجاز وأما دليل إيثار المجاز على الحقيقة كأن يقول خلقناكم من رجل واحد هو آدم عليهالسلام، سببه التناسب الكبير بين البعث المتحدث عنه في الآيأت وبين التراب لأن التراب يدل نوعاً ما على إمكانية البعث إذ فيه إشارة إلى الأطعمة والزروع التي تنبت فيه ثم تموت ثم تحيأ فهي مثل لإمكانية البعث أو لأنّ الذي خلق الأصل من تراب قادر على إحيأء الموتى بعد أن اختلطت أجسامهم بالتراب وأن الذي بثّ الروح في أصلكم الذي هو من تراب قادر على إحيأءكم كرة أخرى لأن الإعادة كما يشهد بذلك العقول أهون من الإيجاد بداية.

قوله تعالى ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ **(الحج 22: 5)** (Al-Haj22:1) كان يمكن لهذه العبارة أن ترد من دون تقييد لفعل (يعلم) بمفعول لكنه قيدها بقوله (شيئا) والشيء لفظ عام يصدق على أقل القليل والكثير وقد جلب هذا التقييد ضربا من المبالغة لا يقوى عليه ترك ذكر لفظ (شيئا) قال أبو السعود: «﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدَ عِلْمٍ﴾ أيْ: عِلْمٍ كَثِيرٍ ﴿شَيْئًا﴾ أيْ: شَيْئًا مِنَ الأشْياءِ أوْ شَيْئًا مِنَ العِلْمِ مُبالَغَةً في انْتِقاصِ عِلْمِهِ وانْتِكاسِ حالِهِ، أيْ: لَيَعُودَ إلى ما كانَ عَلَيْهِ في أوانِ الطُّفُولِيَّةِ مِن ضَعْفِ البِنْيَةِ وسَخافَةِ العَقْلِ وقِلَّةِ الفَهْمِ فَيَنْسى ما عَلِمَهُ ويُنْكِرُ ما عَرَفَهُ ويَعْجَزُ عَمّا قَدَرَ عَلَيْهِ. وفِيهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلى صِحَّةِ البَعْثِ ما لا يَخْفى».(أبوالسعود، 1982:ص 95/6)(Abu-Al- saud,1982:P.6/95) والتناسب بين قوله تعالى ﴿وَتَرَي الأَرض هامِدَةً﴾ **(الحج 22: 5)** (Al-Haj22:1) وما سبقها أنه «ولمّا ذَكَرَ تَعالى مَن يُجادِلُ في قُدْرَةِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وكانَ جِدالُهم في الحَشْرِ والمَعادِ ذَكَرَ دَلِيلَيْنِ واضِحَيْنِ عَلى ذَلِكَ أحَدُهُما في نَفْسِ الإنْسانِ وابْتِداءِ خَلْقِهِ، وتَطَوُّرِهِ في مَراتِبَ سَبْعٍ وهي التُّرابُ، والنُّطْفَةُ، والعَلَقَةُ، والمُضْغَةُ، والإخْراجُ طِفْلًا، وبُلُوغُ الأشُدِّ، والتَّوَفِّي أوِ الرَّدُّ إلى الهَرَمِ. والثّانِي في الأرْضِ الَّتِي تُشاهِدُونَ تَنَقُّلَها مِن حالٍ إلى حالٍ فَإذا اعْتَبَرَ العاقِلُ ذَلِكَ ثَبَتَ عِنْدَهُ جَوازُهُ عَقْلًا فَإذا ورَدَ خَبَرُ الشَّرْعِ بِوُقُوعِهِ وجَبَ التَّصْدِيقُ بِهِ وأنَّهُ واقِعٌ لا مَحالَةَ» (أابوحيان، 1420:ص 84/7)(Abu- Hayan,1420:P7/83). فهي مسوق كدليل لإثبات هذه المسألة. وأما سبب تقدم (هامدة) على (اهتزت وربت) في نظم هذه الآية «لَمّا كانَ في سِياقِ البَعْثِ، عَبَّرَ بِما هو أقْرَبُ إلى المَوْتِ فَقالَ: ﴿هامِدَةً﴾ أيْ يابِسَةً مُطْمَئِنَّةً ساكِنَةً سُكُونَ المَيِّتِ لَيْسَ بِها شَيْءٌ مِن نَبْتٍ» (البقاعي، 1885:ص 13/ 12)(Al-Baqhai,1885:P.13/12) قوله تعالى ﴿اهْتَزَّتْ﴾ (الحج 22: 5)**(**Al-Haj22:1) قد أسند الاهتزاز إلى الأرض نفسها رغم الاهتزاز حقيقة هو للأشجار التي تنبت في الأرض ومثل هذا الإسناد جلب صورة فيها من المبالغة ما فيها بحيث كأن الأرض لكثرة ما فيها من الشجر هي التي تهتز أي لا يوجد غير الشجر عليها، ولو قال (اهتزت عليها الأشجار لما تولد هذا التصوير البديع الذي يشير إلى الخضرة التاسعة والكثرة وأثر المطر المضاعف.)

-3. النتائج

من خلال التطرق إلى هذه الآيات بالبحث والدراسة حصلت النتائج التالية: أن الألفاظ تم اختيارها بعناية فائقة بحيث أيّ تغيير فيها أو في موقعها يؤدي إلى إخلال في القصد أو الغرض المساقة من أجله وقد ساعدت البنية اللغوية في تماسك النص وتراص أجزاءه. لم يتم استعمال المجاز اعتباطا كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾فالتراب المراد به

آدم وهو أصل الآدميين أو الأطعمة التي مصدرها التراب ولهذا المجاز أرجحية على الحقيقة لأنّ هناك تناسبا مع موضوع الآيات التي تتحدث عن أدلة إثبات البعث فالتراب يشير إلى إمكانية الإعادة إما من خلال التمثيل بأن يقال كما أن الزروع التي تنبت في الأرض تموت ثم تحيا فالموتى كذلك حالهم أو إما من خلال الإشارة إلى أن أصل الإنسان من تراب فكما أن الأصل قابل لبث الروح فيه فكذلك من يتحولون إلى تراب لديهم الإمكانية لبث الحياة فيهم من جديد ونشرهم. عدم التصريح بالأسماء في بعض المواطن والاهتمام بالفكرة دون أن يكون المحور الشخص وذلك من أجل أن يكون الكلام عاما شاملا يصلح لكل الأزمنة وليس حصرا على أشخاص يمضي زمنهم. قد يترك القرآن بعض القيود لأنه لا يوجد قيد يحيط بالغرض كما في قوله تعالى (لنبين لكم) دائما يكون اللفظ المختار له مزية على غيره إما بالنظر إلى السياق أو التركيب والدلالة في نفس المفردة.

4-1.المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن عاشور، محمد الطاهر (1984م). التحرير والتنوير. تونس: دار التونسية لنشر.
- ابن عطية، عبدالحق بن غالب (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو السعود، محمد بن محمد (1982م). إرشاد العقل السليم إلى مزايأ الكتاب الكريم. بيروت: دار إحيأء التراث العربي.
- أبوحيأن الأندلسي، محمد بن يوسف (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.
- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن الكريم. بيروت: دار إحيأء التراث العربي.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر (1434هـ). نظم الدرر في تناسب الآيأت والسور. القاهرة: دار الكتب الإسلامي.
- الجرجاني، عبد القاهر (1436هـ). دلائل الإعجاز. بيروت: المكتبة العصرية.
- الرازي، فخرالدين (1420هـ). التفسير الكبير. مصر: دار إحيأء التراث العربي.
- الزمخشري، عمرو بن محمود (1407هـ). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار المعرفة.
- الشنقيطي، محمد الأمين (1441هـ). أضواء البيأن في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار ابن حزم.
- الطيبي، الحسين بن عبدالله (1434هـ). فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
- القاسمي، محمد جمال الدين (1418هـ). محاسن التأويل. بيروت: دار الكتب العلمية.

references

- The Holy Quran
- Ibn Aashur, Muhamad Altaahir (1984). Waltanuyr. Tunisia: dar altuwnusyt linashri [In Arabic].
- Ibn Attiya, Abdul Haq bin Ghalib (1422). The brief editor in the interpretation of the Mighty Book. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya [In Arabic].
- abu alsueud, muhamad bin muhamad (1982mi). 'iirshad aleaql alsalim 'iily muzaya alkitaab alkarim. bayrut: dar 'iihyia' alturath alearabii.
- Abuhyan al'andalsi, muhamad bin ywsif (1999). albahr almuhyt fi altafisyru. Beirut: dar alfikr [In Arabic].
- Al'alusi, Shihab Alduyn Alsayd Mahmud (1994). Ruh Almaeani fi Aafsiyr Alquran Alkriym. Biyrut: dar 'iihya' alturath alearabii [In Arabic].
- Albiqaei, 'iibrahym bin Eumra (2013). Nazam Aldarar fi Tanasub Alayat Walsuwr. Alqahirata: dar alktb al'iislami [In Arabic].
- Aljirjani, Eabd Alqahiri (2012). Aalayil Al'iiejazi. Biyrut: almuktabat aleasriyti [In Arabic].
- Alraazi, fakhiralduyn (1999). Alkbuyra. masra: dar 'iihya' alturath alearabii [In Arabic].
- Alzamakhshiri, Eamru bin Mahmud (1986). Alkshaaf. Biyrut: dar almaerifati [In Arabic].
- Alshanquyti, muhamad al'amyn (2000). 'adwa' albayan fi 'iiydah alquran bialqurani. biyrut: dar aibn hazm [In Arabic].
- Altaybi, Alhasyn bin Eabdallah (2012). Fatuh Alghayb fi Alkshf Ean Qinae Alraybi., dibi, jayizat dubayi alduwliyt lilquran alkriymi [In Arabic].
- Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din (1997). Mahasan al-Taawil. Beirut: Dar al-Kutb al-Alamiya [In Arabic].